حب السرعة

اولع الافرنج بالسرعة في عهدهم الاخير ولوعا شديداً ادنى منهم كل مأمول واسرع بهم الى كل مطلوب فترى عندهم السيارات والدراجات وقطرات الحديد مسرعة الى آخر الطوق ونهاية الجهد حتى لقد امعنوا في ذلك فوصلوا الى حد الخطر لانه قل ان تجتاز مسافة بسرعة الا ويكون على اثرها قتيل بين مار داسته المركبة او بين راكب سقطت به وبين قطار انقلب بمن فيه ولذلك جعل او لو الحكم لهذه السرعة حداً تنتهي اليه وتقف عنده ولكن بعد ان دل الانسان على انه ان لم يكن اسرع مخلوقات الله من حيث نفسه وتركيبه فهو اسرعها بتفننه وحيلته حتى صار يضحك على النعامة حين تخفق بجناحيها الى العلو ويهزأ بالفرس الكريم في ساحة حضره والمهماز يحقثه من كل جانب

الا انهم لم يقتنعوا من السرعة باستدناء البعيد واجتيازه بالوقت القصير بل انهم اولعوا بها ايضاً لانجاز العمل الشاق البعيد المدة وذلك بكثرة الايدى او كثرة الالات التي اخترعوها لتقوم مقامها حتى صار غير عسير عليهم ان يبنوا مدينة بتمامها في مدة اسبوع واحد اما بدافع الحاجة اليها واما بدافع الرغبة لاظهار مقدار الجهد ومبلغ الحيلة والتفنن الا انها على كل حال سرعة محمودة لان العجلة التي فيها ليست من الشيطان . اما ما يقولونه عن الافرنج من انهم يقطعون الشجرة في الصباح فيصنعونها ورقا وتصير جرائد في المساء فامر قديم مشهور عنهم ولهم من امثاله شيء كثير واما

الذي امتازوا به آخراً فهو اسراعهم في صنع الاشياء الضخمة التي كان يقتضى لها الاسابيع والشهور فصارت تنجز في الساعات والايام وكان اخص المشهورين بذلك الاميركان رجال العجائب والغرائب الذين اضطروا مزاحميهم الى الاقرار لهم بهذه المزية صاغرين كما بدا ذلك عندنا ايام اضطرار حكومتنا لصنع جسر نهر العطبرة فانها عرضته على مساومي العالم بشرط الاسراع في صنعه فما استطاع ان يتقدم لها غير الاميركان فانهم صنعوه وشحنوه في مدة ٢٩ يوما ثم لم تكن بعد ذلك ايام قليلة الا وهو جسر على ذاك النهر كافل بكل المراد وهو ما عدوه من عجائب الصناعة ولا سيما مع بعد المسافة بحيث انه لو كان المعمل الذي صنعه قرب العطبرة لانتهى في اقل من اسبوع او لو كانت الرغبة اشد لصنعوه في يوم او بعض يوم لانه ليس فيه ما يقتضي معونة الزمن وطول المدة

ثم ان هذه السرعة التي يمتاز بها الاميركان والانكليز دون سائر الامم لا تنحصر بحال دون حال بل كل شيء عندهم يتم بما يشبه السحر من شدة السرعة فانك لا تكاد ترى الحديد خاماً حتى تراه في الحال قد صار دبابيس وابراً ووضع في علبه وصار في السوق يباع ولا تكاد ترى الجلد على ظهر الحيوان حتى تراه قد صار نعلا في رجلك ولا ترى الوف الفدادين من الارض وهي مغروسة قمحا يقتضى له الوف من الناس لحصده حتى تراه صار في الحال مشحونا في السفن وصارت تلك الارض قاعا صفصفاً ثم لا تكاد تراه قمحا حتى تراه بعد قليل خبزاً يؤكل وقس على ذلك سائر الاشياء التي لا يستطاع الحديث عنها كلها تجد ان هذا العصر صار جديراً بان يسمى باسم جديد وهو عصر السرعة لان الافرنج افرطوا بها جداً من

قبيل الحاجة والتفكه في آن واحد وذلك لان الوقت الذي كانوا يسمونه ذهباً من قبيل المبالغة قد صار الان ذهباً حقيقياً اذ كل دقيقة من السرعة صارت كانها فائدة مال كثير في بنك

اما نحن في هذه البلاد بالخصوص فلا نتمتع من السرعة بشيء الا ان يكون ما اسرع الافرنج بصنعه وجاء الينا سريعا ونحن لاندري . واما الذي يهمنا الانتفاع من الاسراع فيه فلا نتمتع منه بشيء حتى القطرات الحديدية فانها تكاد تطير في اميركا واوروبا طيرانا في حين هي عندنا لا تزال على عهدها المعروف مع انه كان في الامكان اجتياز ما بين مصر والاسكندرية في ساعة وبضع دقائق لو كانت هناك همة تحث على ذلك وتستدعيه ولكن اين توجد الهمة والنشاط حيث خلق الله الكسل وفتور العزيمة زيادة عليه الفتور الطبيعي المولد من حر البلاد وجوها

ولقد بلغنا من مدة ان البحر في ميناء كالفستون باميركا وهو ثغر القطن قد عدا على المدينة فخرب شواطئها وما عليها من ابنية فقام اهلها يصنعون لها رصيفاً حتى اتموه على ما نظن بعد وقت قصير وحموا المدينة منه . ولقد كان هذا الضرر اسبق الينا منهم لان مياه البحر في الميناء الشرقي كانت شديدة الدنو من الشاطئ وما عليه من الابنية فارتاى مجلسنا البلدي ان يصده عن المدينة برصيف وباشر هذا الرأي ولكنه قد مضى الان على ذلك الرصيف سبع سنوات واكثر دون ان ينتهي مع انه لو كان في اميركا او اوروبا لانتهى في سنة على الاكثر لانه لا يقتضي حالة طبيعية من طول الزمن كأن يجف اساسه او تتبخر مياهه وانما هو يقتضي الهمة وكثرة الايدي او يقتضي الهمة بمفردها وهي ليست موجودة . ثم انه ليس

الرصيف الشرقي وحده عنوان الكسل والتراخي بل كل شيء في هذه البلاد يجري ببطء عائب فترى المنزل البسيط يشرع في بنائه اليوم فلا ينتهي بعد سنة دون اعتبار ادنى قيمة للوقت مع ان صاحبه لو استكثر له العمال فبناه في شهر لكانت النفقة هي هي ان لم تكن اقل على ماموجب ما يراه الاقتصاديون ولكان له ربح ظاهر وهو اجرة الاحد عشر شهراً . الا ان كل هذا كانه مستفاد من كسل الحكومة نفسها فانها تفتح الشارع وهي تسمي ذلك من « المنافع العمومية » فيجيء عملها كانه من المضار العمومية لان المرور في مكان ذاك الشارع يمتنع الشهر والشهرين حتى السنة ولعل هذا الكسل مما يرافق هذه البلاد الى الابد ولو جاءها اهل السرعة من المريخ وذلك لانه من جملة تقاليدها وطبائع اهلها ولعل المحتلين قد عرفوا هذه المزية الواجبة للبلاد فاقاموا فيها ٢٤ سنة وهم كانهم اولاد سنة مع ان الاميركان مثلا لو استعمروا القطب الشمالي المتجمد من اربع وعشرين سنة لاصبح الان ذا مئات من المدن ولزرعت الحدائق فيه على ظهر الجليد